مجلة الإحياء، المجلد: 22، العدد: 31، جوان 2022، ص - ص: 381 – 394
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

مميِّزات الشُّروح الحديثيّة المعاصرة -البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي الأتيوبي أنموذجا-

The Features Of Contomporary Hadith's Explanations - Al-Bahr Al-Mohet Al-Thajaj In The Explanation Of Sahih Muslim Bin Al-Hajjaj By Muhammad Bin Ali Al-Atyoobi As A Model

طالب دكتوراه عبد الكريم مبرك
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة1
مخبر العلوم الإسلاميّة في الجزائر
abdelkarim.mebrek@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2020/12/22 تاريخ القبول: 2022/06/12

الملخص:
يوضح هذا البحث كما يدلُّ عليه العنوان؛ بعض الشُّروح الحديثيَّة المعاصرة؛ التي ظهرت في السَّاحة العلميَّة خلال القرن الأخير، وذِكرِ ما تميَّزت به من خصائص، في الجوانب العلميَّة والمنهجيَّة، وبيان شواهِدِها من كتبهم، عبر مرحلَتَيْن: الأولى بذكر السِّماتِ العامَّة التي تميَّزت بها هذه الشُّروح، والأخرى: بإفراد دراسة لأنموذج منها.
الكلمات المفتاحية: المميِّزات؛ الشُّروح؛ الحديثية؛ المعاصرة.

Abstract:
This search clarify as is indicated in the tittle, some features of Hadith explanations, that brighten up in the scientific arena in the last century, by mentioning its distinctive characteristics in the scientific and methodological fields, and clarify evidence in their books, throuth two things:
The first: by mentioning the general advantages that the contemporary Hadith explanations were characterised.
And the second: by individual study of models thereof.
key words: Features; Hadith explanations; Contemporary.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد عنيت الأمَّة الإسلاميَّة بالحديث النَّبويِّ، فأوعته حوافظُها الفذَّة، وبذلت من أجله أعظم الجهد، وحاز حديثُ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من الوقاية والمحافظة ما لم يكن قطُّ لحديث نبيٍّ من الأنبياء؛ فقد نقل لنا الرُّواة أقوال الرَّسول ﷺ في الشُّؤون كلِّها العظيمة واليسيرة، بل في الجزئيات التي يُتَوهَّم أنَّها ليست موضع اهتمام؛ فنقلوا تفاصيل أحواله ﷺ في طعامه وشرابه ويقظته ومنامه وقيامه وقعوده، حتَّى ليُدرِك المتتبِّع لكتب السُّنة أنَّها ما تركت شيئا صدر عنه ﷺ إلَّا روته ونقلته.

ثم اكتست هذه النُّصوص النَّبويَّة حلَّة من البيان بفعله ﷺ، ثمَّ بأقوال وأفعال صحابته من بعده، وكانوا أعلمَ بها، وأفضلَ من أمثلتها رضوان الله عليهم، وهكذا يحمل هذا العلم من كلِّ خلف عدوله، يبيِّنونه لمن بعدهم؛ حتّى وصل إلينا في مصنّفات العلماء وشروحاتهم فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ولم يزل أهل العلم جيلا بعد جيل يعتنون بأحاديث رسول الله ﷺ في دراساتهم عناية فائقة؛ تنقيحا وتصحيحا، وفهما وشرحا، واستنباطا للحكم والأحكام والفوائد العظام، وظهرت شروح معاصرة لبيان ما فيها من العلم والعمل، فكان لزاما على طالب الحديث أن يقف معها وقفة متأمّل، ناضرا في مواضيعا، مقلِّبا بصره في صفحات معانيها، ومتذوِّقا لأساليبها؛ آملا أن ينتفع بها أوّلا، ثمّ يدوِّن بعض النُّكت في مميِّزاتها التي فارقت فيها شروح المتقدِّمين؛ فإنَّ لكلِّ جيل ميزته، ولكلِّ مصنّف منهجه.

إشكالية البحث: فجاء هذا البحث في إخراج تلك النُّكت في بعض مميّزات الشُّروح الحديثية المعاصرة إلى السَّاحة العلميَّة رغبة في النَّفع والانتفاع. إذن فماهي مميِّزات الشُّروح الحديثيَّة المعاصرة؟

أهميَّة الدراسة في هذا الموضوع: لا يخفى على طالب العلم؛ المطالعِ للكتب، والمتتبِّعِ فهم معاني النُّصوص الحديثيَّة أهميَّة هذا البحث؛ إذ لا بدَّ له أوَّلا أن يعلم أيّ الشُّروح أصلحُ له وأيسرُ وأنفع، ثمَّ إنَّ درجات طلَّاب العلم متفاوتة؛ فمنهم من نَفَسُه قصير، واستيعابُه ضئيل، فلا يُنصح بكتب المتقدِّمين، وهكذا كلٌّ حسب درجته، إلى جانب أنّ بيان هذه المميّزات هو في الحقيقة ترغيب في المطالعة وحثٌّ عليها.

أهداف البحث: بيان شيء من مميِّزات الشُّروح الحديثيَّة المعاصرة مع شيء من التمثيل، والدَّلالة على بعض المصنّفين وشروحاتهم من هذا الجيل.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسات تتعلّق بهذا الموضوع.

خطة البحث: قد تناولت هذا البحث ضمن خطّة تحوي مقدّمة وثلاثة مطالب، وتحت كلّ منها عناوين فرعية، وينتهي بخاتمة، وهي كالتالي:

المطلب الأوَّل: شرح مفردات عنوان البحث وبيان معانيها

الفرع الأوَّل: معنى كلمة "مميِّزات" لغة واصطلاحا في ظلّ هذا السِّياق.

الفرع الثَّاني: معنى "الشّروح الحديثيّة" باعتباره مركّبا لفظيّا.

الفرع الثَّالث: في بيان المراد من مصطلح "المعاصرة".

المطلب الثّاني: السّمات العامّة التي ميّزت هذه الشُّروح

الفرع الأوَّل: من جهة سلامة الاعتقاد.

الفرع الثَّاني: من جهة ترتيب المادّة العلمية.

الفرع الثَّالث: من جهة سهولة اللُّغة وتيسير الفهم.

الفرع الرَّابع: من جهة ارتباط هذه الشُّروح بواقع النَّاس.

الفرع الخامس: من جهة اعتناءهم بتناول الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد وشرحها.

الفرع السَّادس: من جهة إفضاء بعض الأساليب الطَّيِّبة التي هي أنجع في الفهم والإدراك.

الفرعي سَّابع: من جهة بيان بعض الأمور على ماهي عليه في الحاضر لتغيُّر مسمّياتها أو أحوالها عبر العصور.

الفرع الثَّامن: من جهة تنزيل المسائل العمليَّة على النُّصوص الشَّرعيَّة (فقه الحديث).

المطلب الثَّالث: أنموذج على ما تميّز به كلُّ شرح على حدة (شرح محمد بن علي الإثيوبي على مسلم)

الفرع الأوَّل: الكلام على بعض مزايا الشَّارح رحمه الله.

الفرع الثَّاني: الكلام على بعض مزايا الشَّرح.

خاتمة: وفيها أهم التوصيات.

المطلب الأول: شرح مفردات عنوان البحث وبيان معانيها.

الفرع الأول: معنى كلمة "مميِّزات" لغة واصطلاحا في ظلّ هذا السِّياق

أمّا معناها من جهة اللغة؛ فهي جمع (مميِّز)، وأصله (ميَزَ): وهو أصل يدلُّ على تزيُّلِ الشَّيء من غيره، ومنه لفظة: «وامتازوا»؛ أي: تميَّز بعضهم من بعض وانفصل، وهو أكثر ما يستعمل للفصل بين المتشابهات، وقد يطلق ويراد به القوة الإدراكية للدِّماغ، ومنه «طفل مُمَيِّز»[1].

وأمّا معناها في الاصطلاح فلم أجد من عرّفه في هذا السِّياق - كونه مقيَّدا بكتب الشُّروح -، فحاولت أن أصيغ له تعريفا يناسب هذا المعنى؛ وإلّا فهو في العموم فرع عن المعنى اللّغوي فأقول: «هي السِّمات التي اختصت بها هذه الكتب من حيث طريقةُ التّأليف، ومن حيث المضمون؛ بحيث صارت علامة ملازمة لها تباينها عن غيرها من كتب الشروح».

الفرع الثاني: معنى "الشّروح الحديثيّة" باعتباره مركّبا لفظيّا.

فابتداءً الشرح هو: الكشف عن معاني الألفاظ التي يشتمل عليها النص وفقا للقواعد العلمية والمستنِدة لعلوم الآلة وعلوم المقاصد، وأما الحديث فمدلوله العام: هو كل ما أضيف إلى النبيِّ ﷺ.

وأمَّا المركَّب من هذين اللَّفظين فقد عرَّفه القِنَّوجيُّ في أبجد العلوم بقوله: «علم باحث عن مراد رسول الله ﷺ من أحاديثه الشَّريفة بحسب القواعد العربيَّة، والأصول الشَّرعية، بقدر الطَّاقة البشريَّة»[2].

فيدخل في معنى الشّرح الحديثي: ضبط ألفاظ الحديث، وبيانُ معانيه، وشرحُ غريبه، واستخراج أحكامه وفوائده، واستنباط الفقه منه، والكشف عن وجه دلالته على الحكم الشَّرعي[3].

هذا، ويجدر التَّنبيه على أمرين اثنين يتعلَّقان بالشَّرح الحديثيّ وتعريفه وهما:

1- أنّ تعريف الشَّرح الحديثي ينبغي أن يراعى فيه: قرائن الصدور، واختلاف الأزمنة والأمكنة، ومناسباته وأسباب وروده، وملابساته التي احتفّت به؛ لأنّ هذا كلَّه لا يدخل في القيود التي جاءت في التَّعريف، وهو ممّا لا يحصل الشَّرح الحديثيُّ على وجهه الشَّرعيِّ إلَّا به، إضافة إلى إثبات صحة الحديث التي دونها لا فائدة من الشرح أصلا.

2- أنَّه ينبغي ميز الشَّرح الحديثيِّ عن العلوم الأخرى إلَّا بقدر ما لا يُستغنى عنه في الشَّرح؛ فلا يُستطرد في ذكر مباحث العربيَّة، والفروع الفقهيَّة..؛ لأنَّه أضحت كتبُ الشُّروح متنوِّعةَ المقاصد، وصارت غير منضبطة، تحشد من المسائل في أنواع الفنون ما يُخرج الشَّرح عن مقصده؛ الذي هو فهم المراد من النَّقل المقتضي للعمل، وهكذا كتب الشَّرح القرآني (التفسير)[4].

الفرع الثالث: في بيان المراد من مصطلح "المُعَاصِرَة"

أمَّا من النَّاحية اللُّغويَّة فهذه اللَّفظة مرادفة "للحديث"، ومن باب بيان الشّيء بمرادفه فإنّ مادة (حدث) أصل في كون الشَّيء بعد أن لم يكن[5]، أمّا من ناحية كونها قيدا في عنوان البحث فإنِّي أقصد بها: الشُّروح الحديثيِّة الجديدة التي ظهرت في السَّاحة العلميَّة في المدَّة الأخيرة، وخصوصا القرن الأخير.

وستتعرَّف من خلال هذا البحث على طائفة من تلك الأسفار المقصودة بالعنوان المختار.

المطلب الثاني: السّمات العامّة التي ميّزت هذه الشروح المعاصرة

أذكر في هذا الجزء بعض الخصائص العامَّة التي اشتملت عليها هذه الشُّروح؛ وإلاّ فإنَّ لكلِّ كتاب من هذه الشُّروح خصائص وميزات انفرد بها، وسأفرد لهذا فقرة مستقلّة أذكر فيها نموذجا من الشُّروح المعاصرة.

الفرع الأول: من جهة سلامة الاعتقاد

لا شكَّ أنَّ أعزَّ وأنفس ما يملك المسلم في هذه الدُّنيا الدَّنيَّة هو دينه وسلامةُ معتقده، فلا يتلقَّى العلم إلَّا من المعين الصَّافي الموافق لكتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ، بفهم سلف الأمَّة من الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان عقيدة ومنهجا وسلوكا، قال ابن سيرين: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[6]، وهذا شرط نفيس تميّزت به أغلب الشُّروح المتأخرة، وتجلّت مظاهر هذه الخاصيَّة في النِّقاط التَّالية:

1- يشرحون حديث رسول الله ﷺ وفق أصول أهل السُّنَّة والجماعة، وخصوصا أحاديث الصِّفات؛ فلا يتعرضون لها بالتَّأويل، ولا بالنَّفي المستلزم للتَّعطيل، ولا بالتَّشبيه المتضمِّن عدم التَّنزيه، أو ما كان من جنسها من النُّصوص المثبتة للأمور الغيبيَّة، كفتنة القبر ونعيمِه وعذابِه، ونزولِ المسيح عليه السلام، وظهور الدَّابَّة، وخروج المسيح الدَّجال وغيرها، أو ما جاء في الوحي من الأمور العمليَّة التي خفيت حكمتها على أهل العقول؛ فلا يقابلون ذلك كلَّه بتقديم عقل أو هوى، وإنَّما بالإثبات والتَّسليم.

2- يَرُدُّون شرحهم ببيان الطَّوائف التي زاغت في فهم الحديث المشروح، مع الرَّدَّ عليهم بالحجة من كتاب الله وسنَّة رسول الله؛ إذ لا يتبيَّن الحقُّ إلَّا ببيان الباطل، ولا يتبيَّن التوحيد إلَّا ببيان ما يضادُّه وهو الشِّرك، وبضدِّها تتبيَّن الأشياء.

3- تجدهم عند نقلهم عن المتقدِّمين يُصفُّون المسائل ممَّا شابها من سقطات في باب المعتقد، فيجدها طالب العلم سهلة المنال دون خَرط القَتاد وإعمال المناقيش؛ فلا يضيِّع وقتا في التَّفتيش عنها وتصحيحها، لأنَّ الأئمة الأعلام قد انبروا لها فبيّنوها لمن بعدهم، يقول البلقينيّ رحمه الله: «استخرجت من الكشَّاف اعتزالا بالمناقيش»[7].

مثال توضيحي: من ذلك ما ذكره محمد بن صالح العثيمين في «شرحه على رياض الصالحين»[8]: عند حديث أسامة بن زيد مرفوعا: «إذا سمعتم الطَّاعون بأرض فلا تدخلُوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها»؛ فبيَّن رحمه الله أنّه يجب على المسلم إذا سمع بالطاعون في بلد فلا يدخلَها وإن كان على مشارفها؛ لأنَّ فيه هلاك النَّفس، وأمَّا إذا كان في البلد الذي هو فيه فلا يخرج منه فرارا، وإن فعل فإنَّ هذا لا يغني عنه من الموت شيئا؛ لأنَّ الموت لا يلحقه بل يلاقيه قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: 8]، واستأنس بقصة الألوف الذين خرجوا من أرضهم فرارا من الوباء فأماتهم الله عز وجل ليجعلها آية دالة على إحاطته عز وجل بعباده، و أنَّ قضاؤَه نافذ لا محالة، وذكر قصَّة عمر رضي الله عنه المشهورة في هذا الباب، ومشاورتُه للأنصار والمهاجرة، وبيانه رضي الله عنه لأبي عبيدة أنَّ ما يختاره المرء كلُّه بقضاء الله وقدره سواء أقدم أم أحجم، وإنَّما يتخذ الأسباب الشرعية، من مراعاة الحكم الشرعي، ومشاورة أهل العلم والعقل، واستخارة الله عزَّ وجلّ.

ثمَّ بيَّن رحمه الله أنَّ في هذا كلِّه ردٌّ على القدرية والمعتزلة؛ الذين يقولون: أن الإنسان مستقل بعمله لا علاقة لله عزَّ وجلَّ به، ولكن الإنسان يفعل الفعل بقضاء الله وقدره، ومشيئتُه تابعةٌ لمشيئة الله عزَّ وجلَّ، فما يشاؤه الله عزَّ وجلَّ يكون سواء كان أمرا قدريًّا كونيًّا أم شرعيًّا، وما لا يشاؤه لا يكون.

4- تجدهم يربطون شرح الأحاديث الواردة في تأسيس المعتقد بما وقع فيه النّاس في الواقع من انحرافات في هذا الباب، ويعالجونها، ويبيّنون كيفيَّة التَّعامل مع من وقع في مثل ذلك، وهذا الأمر سأبيِّنه في جهة أخرى تميَّزت بها هذه الشُّروح؛ وهي ربط هذه الشُّروح بواقع النّاس ومعالجة أحوالهم، فهي جمعت بين الأصالة والمعاصرة.

الفرع الثاني: من جهة ترتيب المادّة العلمية

إنَّ النَّاظر لكتب الشُّروح التي ظهرت في الآونة الأخيرة، فإنَّه يلفي أصحابها قد راعوا الجانب المنهجي في سرد المادّة العلميّة ويرجع ذلك إلى أمور منها:

1- تهيّأت لهم كلُّ الكتب في مختلف العلوم المساعدة في الشَّرح الحديثيِّ؛ بحيث يساعدهم على تناول كلِّ مسألة من مضانِّها التي اختصت بها، فيدرسها في جزء معين من شرحه، وبهذا يكون العمل منظَّما.

2- الواقع العلمي الذي تفرضه منهجيَّة البحث العلميِّ؛ التي تقتضي تصفيف المادّة العلميَّة بشكل منظَّم بحيث يستفيد منها القارئ، وفق محاورٍ أو فصول أو مباحثَ أو فقرات أو غيرِها مما هو داخل في مناهج البحث والتَّأليف.

ومن الأمثلة على ما قرَّرت كتاب الشيخ عبد المحسن العبَّاد الموسوم بـ: «عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة أسانيدها وشرح متونها»[9]؛ حيث راعى فيه مؤلِّفُه انتقاءَ الأحاديث التي تكون أسانيدها ومتونُها مشتملةً على فوائدَ كثيرة، وجعل الكلام فيها على أربعة مباحثَ: الأوّل في بيان تخريج الحديث في كتب السُّنَّة، والثاني في التَّعريف برجال الإسناد، والثّالث في ذكر اللّطائف الإسناديَّة وما في الحديث من شواهدَ تطبيقيَّة لعلم مصطلح الحديث، والرَّابع في شرح الحديث محاولا فيه استقصاء المعاني التي اشتمل عليها الحديث، منتهيا بفقه الحديث وما يستنبط منه.

وقريب منه صنيع الأستاذ موسى شاهين في كاتبه المسمَّى بـــ: «فتح المنعم شرح صحيح مسلم»[10]؛ حيث جعل شرحه في ثلاثة محاور، يتناول أوّلا المعنى العام الذي يشير إليه الحديث، ثمّ يُتبعه بذكر مباحث العربيَّة وما يتعلَّق بها، ثمّ ينتهي إلى فقه الحديث وما يستنبط منه من الأحكام والفوائد.

الفرع الثالث: من جهة سهولة اللُّغة وتيسير الفهم

إنَّ المطالع لكتب المتقدِّمين يعلم أنَّه لا يتأتى لطالب العلم المبتدئ أن يفهم كلامهم، فضلا عن العامِّيِّ أو من لم يعرف لغة العلم لقوَّة سبكها ورصانة معانيها، فكلامهم كما يقال من السَّهل الممتنع، ومن هذه النَّاحية فارقت فيها شروح المتأخِّرين من سبقهم، بحيث تجد العلماء منهم؛ الذين بلغوا باعا كبيرا في درجات اللُّغة لا يعبِّرون في شروحهم بألفاظ تنبئ عن طول يدهم في اللُّغة، وإنَّما يعبّرون بألفاظ سهلة؛ إذ المراد أن يفهم النَّاس مسائل الشَّرع ويتعلَّمون دينهم، وهذا دليل - إن شاء الله - على إخلاصهم في عملهم؛ فهذا الشيخ ابن العثيمين رحمه الله معروف ومشهور للعامِّ والخاصِّ بحسن تفهيمه المسائل العلمية، والأحاديث النَّبويَّة، بل تجدهم ييسِّرون العلوم الصَّعبة على طلبة العلم سواء كانت علوم آلة أو مقاصد، حتَّى قيل عنه "كأنَّه يعلِّم صغيرا لا يدري معنى هذا الفن"؛ لما يَبدئ من صغار العلم قبل كباره، دون تكلُّف في الأسلوب، وهذا يُضفي ميزة خاصَّة في مثل هذه الشُّروح؛ وهي أنَّها تكون موجَّهة لكافة شرائح المجتمع ممن يفهم الخطاب.

وعلى نحوه الشَّيخ عبد الكريم الخضير؛ الذي أتاه الله عزّ وجلّ ملكة في حسن التَّفهيم وسلاسة في التَّعبير؛ حتَّى إنَّ كلامه ليَلِج الصَّدر دون استئذان، ورزقه الله عزَّ وجلَّ همَّة في نشر العلم وخصوصا في الحديث وعلومه؛ حتّى ما تكاد تجد فنّا إلّا وقد شارك فيه، ومن الأمثلة على شروحاته لكتب السُّنة: «شرح

الموطَّأ»، «شرح صحيح البخاري»، «شرح سنن التِّرمذي»، «شرح جوامع الأخبار»، «شرح التَّجريد الصَّريح»، وغيرها[11].

الفرع الرَّابع: من جهة ارتباط هذه الشُّروح بواقع النَّاس

قد جاءت شريعة الإسلام عموما بإصلاح واقع النَّاس، سواء كانت أحكاما أو عقيدة أو سلوكا، كما هو مقرَّر في علم المقاصد، وهذا ما نلمسُه في أحاديث رسول الله؛ في مخاطبته للوجدان البشري فيرفع من أخلاقه ويعلو بها إلى الكمال الذي اقتضته حكمة الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ جاء العلماء الرَّبَّانيُّون[12] ليشرحوا هذه الأحاديث في ضوء معالجةِ أحوال النَّاس وإصلاحِها، ممتثلين في ذلك قول الله عزَّ وجلَّ حاكيا عن شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، ومن المسائل التي تناولها العلماء في سياج شرحهم مقتحمين بها واقع النَّاس، أذكر بعضها على سبيل المثال، ممثِّلا من شرح شيخنا عبد الحميد بن باديس المسمّى: «مجالس التَّذكير من حديث البشير النَّذير»، وهي كالآتي:

1- **معالجة القضايا النَّفسيَّة والسلوكيَّة:** والخروج بالنَّاس من عبوديَّة الهوى وداعي النَّفس إلى عبوديَّة الله وحده؛ باتباع شرعه، ومتابعةِ نبيِّه ﷺ، وجعل ذلك لباسا للمسلم بحيث لا ينفكُّ عنه؛ وهذا ما يوضِّحه الشيخ ابن باديس في فقرة ارتقت في مدارج الإخلاص حتَّى اختلجت صمَّامات القلوب وقرعت منافذها؛ حيث يقول رحمه الله في شرح حديث الأعمى[13]: «حقيقة نفسيَّة: العبد بين داعِيَيْن مختلفين، دينُه يدعوه إلى الحُسنى وينهض به للعَلَاء، ونفسُه تدعوه إلى السَّوأى وتنحطُّ به إلى الحضِيض، ولا ينحطُّ المسلم عن مقامات الكمال إلَّا بإجابته داعي نفسه وإعراضه عن داعي دينه؛ فالنَّفس هي الجاذب القويُّ إلى دركات الانحطاط، ولمَّا كان دعاء النَّبيِّ ﷺ لهذا الصَّحابيِّ سببا في رفع درجاته، وكانت نفسه إذا خلَّاها على هواها مانعةً له من ذلك الرَّفع، فصار الدُّعاء النَّبويُّ والنَّفس الأمَّارة كالمتنازعين فيه، فأمَره بأن يعينه على نفسه بكثرة السُّجود، ولم يقل له أعنِّي على مطلوبك أو تحصيل مرادك، بل قال له: أعنِّي على نفسك، وفي هذا تنبيه له على أنَّ النَّفس هي المعرقلة للعبد عن الصُّعود في سلَّم السَّعادة، وأنَّه إذا قهرها وغلبها فقد تيسرت له أسباب الكمال»[14].

2- **بيان المناهي اللَّفظيَّة وتصحيحُها** وفق ما ورد في الأحاديث النَّبويَّة، ومن الأمثلة قول المجدِّد ابن باديس رحمه الله في نفس شرحه للحديث السَّابق: «لمَّا سأل هذا الصَّحابيُّ النبي وعده بالدُّعاء، وأرشده إلى العمل الصَّالح وهو كثرة السُّجود، ولم يقل له النبي إنَّني ضامن لك ذلك، ولا أنت مضمون، ولا أنت في ضماني، لأنَّ العبد لا يجوز له أن يضمن على خالقه بدون إذنه شيئا، وإذا كانت الشَّفاعة التي هي طلبٌ منه- عزَّ جلَّ- لا تكون عنده إلَّا بإذنه، فكيف الضَّمان الذي هو التزامٌ على القطع، فمن الغرور العظيم، والجهل الكبير، والجراءة الكبرى على الله تعالى قول بعض المدَّعين: «روح راك مضمون»، وقول آخرين: «من دخل دار كذا فهو مضمون»، و «أنا ضامني الشَّيخ»، و «يا دار الضَّمان» ونحو ذلك، ممَّا يقوله الجاهلون، وينكره العالمون، ويبرأ منه الصَّالحون»[15].

وكذا قوله رحمه الله في كلامه على حديث حذيفة[16] في النَّهي عن قول: "ما شاء الله وشئت": «إذا نظرنا في حالة السَّواد الأعظم منَّا معشر المسلمين الجزائريِّين فإنَّنا نجد هذه الكلمات شائعةً بينهم، فاشيةً على ألسنتهم؛ وهي «بربي والشيخ»؛ وهم يعنون أنَّ ما يفعلونه هو بالله وبتصرف الشَّيخ «بربي والصَّالحين»، «بربي والنَّاس المْلَاح»، «إذا حَبْ ربي والشِّيخ»، «شوف ربِّي والشِّيخ»، وهي كلُّها من كلمات الشِّرك كما ترى، فأمَّا قولهم: «بربِّي والشِّيخ» ونحوه، فممَّا لا يجوز أن يذكر فيه المخلوق مع الخالق قطعا؛ لأنَّ ما تفعله هو بالله وحده؛ أي: بتقديره وتيسيره ولا دخل للمخلوق فيه...»[17].

3- **التَّحذير من الشِّرك والبدع والمنكرات والمعاصي:** ومن أمثلته ما ذكره الإمام ابن باديس في شرحه لحديث «الأعمال بالنِّيَّات»[18]، بعد بيانه أنَّ ارتكاب المخالفات الشَّرعيَّة لا تقلِبها النِّيَّاتُ طاعات؛ لأنَّ قصد المكلَّف مضادٌّ لقصد الشَّارع فيسقط ولا عبرة به، وإنَّما تؤثِّر النِّيَّة في قسم الطَّاعات أو المباحات؛ فقال رحمه الله: «وقد غفل عن هذه الحقيقة أقوام- عفا الله عنهم- فتراهم يستدلون على أعمالهم بقوله: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» قاصدين إلى تبريرها غيرِ ملتفتين إلى كونها من قسم الطَّاعات أو المخالفات أو المباحات، وكثيرا ما يرتكبون البدع كدعاء المخلوقات، وكالحجِّ إلى الأضرحة وإيقاد الشُّموع عليها والنُّذور لها، وكالرَّقص وضرب الدُّف في بيوت الله، وغير هذا من أنواع البدع والمنكرات...»[19]، ومن لطائف هذه الفقرة أنَّها جمعت في التحذير بين الشِّرك والبدع والمنكرات والمعاصي، وكُفيت والحمد لله.

4- **معالجة القضايا المهمّة في المجتمع**: كتعليم المرأة وإعدادها إيمانيًّا وعلميًّا وأخلاقيًّا بدلا من نبذها وترك الغرب يتخطَّفها، وقد جال في هذا الميدان أيضا فارس النَّهضة الجزائريَّة عند شرحه لحديث الشِّفاء بنت عبد الله رضي الله عنها: «أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ -أي: حفصة- رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الْكِتَابَةَ»[20]، فقال رحمه الله في ختامه: «فاستنادا إلى هذه الأدلَّة، وسيراً على ما استفاض في تاريخ الأمَّة من العالمات الكاتبات الكثيرات، علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا، في رجالنا ونسائنا، على أساس ديننا وقوميَّتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نَّصل إليه من العلم الذي هو تراث البشريَّة جمعاء، وثمارُ جهادها في أحقاب التَّاريخ المتطاولة، وبذلك نستحقُّ أن نتبوَّأ منزلتنا اللَّائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم»[21].

إذن هذا غيض من فيض؛ وإلَّا فمقامات ارتباط الشَّرح الحديثيِّ بواقع النَّاس كثيرة، وللإمام ابن باديس صولات وجولات في تصحيح المسار الدِّينيِّ للواقع الجزائريِّ، فأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرحمه ويتجاوز عنه في أهل الجنّة إنَّه وليّ ذلك والقادر عليه.

الفرع الخامس: من جهة اعتناءهم بتناول الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد وشرحها

إنَّ نفع المسلمين ليس مخصوصا في العالِم الذي جمع كلَّ العلوم، ولا هو محصور في إدراك كلِّ الفنون؛ بل كلٌّ حسب علمه وطاقته، وبالشَّيء اليسير يدرك النَّفع الكثير، وما لا يدرك كلُّه لا يُترك بعضه؛ وجَرْيًا على هذه القاعدة النَّافعة، انتهج بعض أهل العلم الأخيار في شرحهم لكتب السُّنة مسلك الاختيار؛ فتجدهم إمَّا يعمدون إلى كتب معينة محتواتٍ ضمن كتب السُّنَّة ويخصُّونها بالشَّرح، ومن الأمثلة على صحيح البخاري: «شرح كتاب التَّوحيد من صحيح البخاري»[22] لعبد الله الغنيمان، وآخر لعبد العزيز الرّاجحي، و«شرح كتاب الصَّوم من صحيح البخاري»[23] لعبد الله العتيبي، وهو مفرَّغ ومطبوع، ومثله «شرح كتاب الفتن»[24] لعبد الكريم الخضير، وكذلك «شرح كتاب العلم وكتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة» لعبد المجيد جمعة، وهو مفرَّغ ولم يطبع بعد.

وإمَّا تجدهم يجمعون الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد، ويدرسونها دراسة حديثية فقهيّة، وفق ما تقتضيه منهجية البحث في الحديث الموضوعي، وأكثر ما تكون في الرَّسائل الجامعيّة، ومن الأمثلة على ذلك: «الرِّفق في السُّنَّة النَّبويَّة»[25] لحسن محمد عبه جي، و«الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة»[26] لعبد الله الفوزان وغيرهما.

وإمّا يفردون حديثا واحدا بالدّراسة، ويدرسونه دراسة تحليلية، لاشتماله على المعاني الغرر الفائقة والدرر الكامنة الرائقة، ومن الأمثلة على ذلك: «شرح حديث جبريل في تعليم الدِّين»[27] لعبد المحسن العبّاد، و«شرح حديث ابن عبَّاس في الفرائض»[28] لعبد المحسن بن محمد المنيف، وغيرهما كثير.

أو تراهم مقبلين باهتمام على الأحاديث الواردة في الأحكام، شرحا وبيانا سعيا منهم لتحقيق نفع الأنام، ومن الأمثلة على ذلك: «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام»[29] لعبد الله بن عبد الرَّحمان البسَّام، و«فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام»[30] لمحمد بن صالح العثيمين وغيرهم.

الفرع السَّادس: من جهة افضاء بعض الأساليب الطَّيِّبة التي هي أنجع في الفهم والإدراك

وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فيرغب فيه النَّاس لحسن تفهيمه، وسلاسة عرضه للمسائل دون تعقيد مخلّ ولا تطويل مملّ، وتختلف أساليب الشُّراح من واحد لآخر، وسأعرض طائفة من الأساليب التي ظهرت لي في بعض هذه الشُّروح دون تمثيل لأنّ ذلك سيضخِّم البحث، والأمر فيها واضح:

1- **طريقة السُّؤال والجواب:** وهي منهج ربّانيٌّ نبويٌّ؛ فكثيرا ما تجد في القرآن "يسألونك" ثمَّ يُردِفُه الجواب، وتراه جليًّا في تعليم رسول الله ﷺ للأصحاب؛ حيث يسأل عن المسألة ثمّ يجيب عنها فتكون أعلق في الذّهن من مباشرة الجواب.

2- **أسلوب التَّشويق:** وهذا أيضا منهجٌ في الوحيين عتيق، لما فيه من حسن تأليف أنيق، وشدٍّ للذِّهن وإضرامِ القلب كالحريق مستطلعا لمعرفة الجواب المبهم أو نهايةِ الحادثة على التَّحقيق.

3- **الاستدراك الافتراضي:** وصورته أن يقرِّر الشَّارح المسألة، ثمَّ يجد فيها من الإشكال المعترِض، فيستدرك ذلك كالمفترض بقوله: فإن قال قائل كذا فجوابه كذا.

4- **طريقة السَّبر والتَّقسيم:** وهذا مسلك له مكانته في حسن التَّفهيم؛ فيحصر الشَّارح كلَّ ما يستلزمُه النَّصُّ الشَّرعيُّ من معانٍ يستدعيها العقل السَّليم، ثمَّ يأتي على نقضها بأدلَّة الشَّرع القويم، فما أثبته الشّرع يثبته، وما أبطله يبطله.

5- **تشجير المسائل:** وهي من أعظم الوسائل، في تقريب البعيد دون حائل، وتكمن فائدتها في تصوير الفروع المنبثقة عن الأصول للذِّهن تصويرا شاملا، فيستوعبها استيعابا كاملا.

6- **ضرب الأمثلة العقليَّة:** وخصوصا الواقعيّة، ولا يخفى لما لهذا من الأهميّة؛ لأنَّه يجسِّد المعاني المعنويَّة في الصُّورة الحسِّيَّة فتكون أقرب للفهم والإدراك، إذن هذا بعضها وليس المراد حصرها.

الفرع السَّابع: من جهة بيان بعض الأمور على ماهي عليه في الحاضر لتغيُّر مسمّياتها أو أحوالها عبر العصور

وهذه ميزة فريدة نجدها في مثل هذه الشُّروح؛ إذ أنَّ كثيرا من الأمور تغيّرت مسمَّياتُها وأحوالها وكيفيّاتُها، عبر الأزمان، ومن تلك الأمور:

1- **الأمكنة والبلدان:** فإنَّ كثيرا من الأقاليم درست، وظهرت بأسماءَ وحدودٍ جديدة، فأين خرسان وسجستان وأين الأندلس، وحتَّى المدن: كالمصّيصة ومرو ونهاوند وترمذ وغيرها، فإنَّ الشُّراح المتقدِّمين يصفونها بما كان معلوما عندهم وفق الحدود العتيقة، وصار-ذلك الوصف- عندنا اليوم من المجهول، بل هو زيادةُ تعمية لا غير، فلا تفهم شيئا من ذلك، حتَّى ترجع للمتأخِّرين في ذلك.

2- **أسماء بعض الأطعمة والأشربة:** فإنَّها هي أيضا تغيَّرت أسماءها وحتَّى بعض مكوِّناتها، وتختلف من منطقة لأخرى؛ وخذ على سبيل المثال: "الكمأة"؛ فسّرها ابن حجر في الفتح[31] بأنّها نبات لا ورق له ولا ساق توجد في الأرض من غير أن تزرع، وأنَّ العرب تُسمِّيها "جدري الأرض"، وتأمّل ابن باز في «الحلل الإبريزية»[32] فسَّرها بما هو معروف عندهم في المشرق؛ إذ يسمونها "الفَقْع"، ونحن في المغرب نسميها "الترفاس"، وهكذا.

3- **بعض الوسائل والأدوات:** وهي كذلك قد طرأ عليها شيء من التَّغير أو التَّحريف في مسمَّياتها وتختلف باختلاف البلدان، فضلا عن أنَّه ظهرت وسائل أخرى جديدة تستدعي من الشَّارح أن يقف عندها ويبيّن ما يترتّب عليها من أحكام في العبادات والمعاملات، كما تكلم صاحب «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه»[33]، في باب السَّبق والرِّهان إلى أولويَّة إلحاق المسدّسات والبنادق والمدافع ونحوها من آلات الحرب بما يجوز فيه أخذ المال بالمسابقة.

الفرع الثَّامن: من جهة تنزيل المسائل العمليَّة على النُّصوص الشَّرعيَّة (فقه الحديث)

وهذه الجهة أظهر من كلِّ ما سبقها؛ لأنَّه من الواضح لكلِّ ذي لبٍّ أنَّ المسائل العملية تستحدث بتغيُّر الأزمنة والأمكنة، ولا شكَّ أنَّ الشُّروح المتقدِّمة لم تتناول المسائل النَّوازل المستجدَّة في عصرنا، فتراهم إمّا يقيسون المسائل المستحدثة على نظيراتها السّابقة، أو يَبدلُون وُسْعَهم مُعْمِلين آليات الاجتهاد قصد استنزال الحكم الشَّرعي لتلك المسائل المستجدة، ومثال ذلك ما بيَّنه صاحب «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»[34]، في مسألة إحرام الحاجّ في الطَّائرة إذا بلغ الميقات أو ما يحاذيه فتأمّل.

المطلب الثَّالث: أنموذج على ما تميّز به كلُّ شرح على حدة

لقد قرَّرت في صدر البحث أنَّ لكلِّ كتاب ميزته وأنَّ لكلِّ مصنِّف منهجه؛ فارتأيت أن أفرد هذه الفقرة لذكر بعض مميِّزات شرحٍ بعينه، وقد وقع اختياري على شرح الشَّيخ الأثريِّ محمَّد بنِ عليِّ بن آدم بن موسى الإتيوبي على صحيح مسلم، فاعلم رحمك الله أنَّ الشّيخ رحمه الله قد فصل في شرحه بين المقدِّمة والصَّحيح؛ فأفرد للمقدّمة مؤلَّفا سمَّاه «قرَّةُ عين المحتاج في شرح مقدِّمة صحيح الإمام مسلم بن الحجَّاج»[35]، وشرح الصَّحيح في مؤلَّف مستقلٍّ سمَّاه «البحرُ المحيط الثَّجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجَّاج»[36]، كصنيع الحافظ في صحيح البخاري؛ فخصَّ بالمقدِّمة «هدي السّاري»، وللصَّحيح «فتح الباري»، وسأعرِّج في فرعين مستقلين على مزايا الشَّارح والشَّرح:

الفرع الأوَّل: الكلام على بعض مزايا الشَّارح رحمه الله

قبل أن أتكلم على مزايا الشارح أفضِّل أن أُطلع القارئ على موجز في ترجمته، ولد الشيخ محمد بن علي الإتيوبي سنة 1366هـ، وتتلمذ على كثير من علماء زمانه عدَّ منهم بخطِّ يده 36 شيخا عالما؛ فمنهم والده العلامة علي بن آدم؛ درس عليه كتب العقائد والفقه والأصول ومعظم العلوم التي حصَّلها كانت منه وأجازه فيها لفظا وخطًّا، ومنهم الأديب اللغوي النحوي محمد سعيد بن الشيخ الدُّري درس عليه فنون العربية والمنطق وآداب البحث والمناظرة وجلُّ ما حازه من علم في العربية كان بفضله...، وبعد تخرجه عنهم درس أربع سنين في بلده ثم هاجر إلى المدينة بعد غزو النظام الشيوعي، فأتم مرحلة الثانوية في معهد الحرم المكي من أجل المؤهل التدريسي، ثم صار مدرِّسا في دار الحديث الخيرية إلى أن توفاه الله يوم خميس 21 صفر1442هـ الموافق 08 أكتوبر 2020 ودفن في مقبرة شهداء الحرم بمكة المكرمة[37].

وبعد هذا الموجز فإنّ ما اختصت به الشُّروح من مزايا إنَّما هو في الحقيقة مستمَدٌّ من تميُّز الشَّارح واستقلال شخصيَّته واتزان منهجه وسلامة أفكاره وزخَرِ معارفه؛ فلذلك أحببت أن أتكلَّم عن بعض مزايا هذا العَلَم من شرَّاح الحديث التي ظهرت لي من استطلاعي لشرحه:

1- أنَّ الشَّيخ ملمٌّ بكثير من العلوم، ومستطلع لكثير من كتب الفنون؛ فلا يخفى على القارئ نثرُ درر النَّحو والصّرف والبلاغة والحكم والمعاني، وجمعُ أطراف المنظومات في أصول الحديث والمصطلح، وفي تقرير فروع الفقه وأصوله والنُّكت والمُلح، ودونك الشّرح.

2- أنَّ الشَّيخ يحقق المسائل، وينقد الأقوال، ويصحح ويرجّح، ولا يقلِّد في شيء منها إلَّا إذا وافق الدليل، ولا يتعصَّب لمذهب ولا لقول قائل دون رسول الله مهما كان؛ وفي هذا مزيّة نفيسة إذ أنَّ كثيرا من الشُّراح تؤثِّر عليهم عاطفة المذهب فلا يتَّزن منهجهم في الشَّرح، فتراه رحمه الله يذمُّ التعصُّب ويرجِّح ما يوافق الحقَّ وهذه بعض العبارات الدالَّة على ذلك[38].

«... فتبصَّر، ولا تكن أسير التَّقليد، فإنَّه حجة البليد، ومعتمد العنيد، والله تعالى الهادي إلى سواء السَّبيل»، وقال: «هذا الذي حقَّقه السِّندي رحمه الله أخيرا هو الحقُّ الذي لا مرية فيه، وهذا من إنصافه للحقِّ، وعدم تعصبه لمذهبه الحنفي، كما تعصَّب له كثير ممن أعماهم التَّقليد وأصمَّهم عن اتباع الحق...»، وقال أيضا: «ما حقَّقه صاحب "المرعاة" تحقيق نفيس جدًّا، وبهذا ظهر لك تعصُّب هؤلاء، وانحرافهم عن قبول ما صحَّ من الحديث إذا خالف مذهبهم، ومنهم العيني في شرحه على البخاري... قاتل الله التَّعصب الذي يعمي عن رؤية الحق حقا، ويُصِمُّ عن سماعه صدقا»، وقال: «فهذه الوجوه كلُّها تحريف للحديث الصَّحيح، وإبطال لمُؤدَّاه، واستهزاءٌ بالسُّنة الثَّابتة الظَّاهرة، وتحيُّلٌ لدفعها، فهي تدلُّ على شدَّة تعصُّب أصحابها، وغلوِّهم في التَّقليد المذموم...».

3- يساعد المتلقِّي على ضبط المسائل المتناثرة بعقدها ضمن نظم من ترجمان جنانِه، وهذه من أعزِّ وأنفس ما أجده، ولا يكتفي بالجمع نظما وإنَّما يحرِّر فيها ما يرجِّحه وقد يخطِّئ ويصوِّب، وقد وقفت على ما يزيد على ثمانين منظوما، سواء في الفقه وأصوله كنظمه للخلف في اعتبار عمل أهل المدينة مع بيان الرَّاجح، أو في الصَّرف كجمعه للأفعال الثُّلاثيَّة المتعدِّية لمخالفتها للقياس، أو في المعاني كنظمه لمعاني "دون" و"الإحصان" و "الأمّة"، أو في الحديث كنظمه لمن لا يُخشى تدليسه كشعبة والقطان واللَّيث، أو في النَّحو كنظمه لمحلِّ إعراب أدوات الشَّرط، وغيرها كثير[39].

هذه بعضها ممَّا هو ظاهر جليّ، ولا يحتاج إلى كثرة تمرُّس، ولا تحليلٍ من ناقد متفرِّس، ويَنْظَمُّ إلى هذا كلِّه عقيدة سليمة ومنهج قويم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الفرع الثَّاني: الكلام على بعض مزايا الشّرح

قد وقفت على بعض مزايا هذا الشَّرح وسأذكر بعضها:

1- الأسانيد أنساب الكتب؛ فقد صدَّر الشَّرح بذكر أسانيده إلى الإمام مسلم رحمه الله من طرق كثيرة قراءة وإجازة وشرحا.

2- جمع كتب ورسائل المتقدمين التي أعانت في خدمة الصحيح؛ كإلزامات الحافظ الدَّارقطني، ومستدرك الحاكم، ورسالة رشيد الدِّين العطَّار في بيان الأحاديث المقطوعة في مسلم مبيّنا صفة انقطاعها ومن وصلها من الأئمة، وشروط الأئمة للمقدسي والحازمي، وغيرها.

3- يعرّف برجال الإسناد كل مرة، فإذا تكرر أحال، مع بيان حالهم ومن رَوَوْا عنهم وعدد أحاديثهم في الصحيح ووفياتهم وإذا كان فيه اختلاف في شيء من ذلك حققه؛ فيصدر هذا المبحث بقوله "رجال هذا الإسناد ستة..."، ثم يأتي عليهم واحدا تلو الآخر[40].

4- يهتم بلطائف الإسناد اهتماما ظاهرا في كلّ حديث فيأتي عليها بيانا مسلسلة بالأرقام.

5- يقسِّم شرح الحديث إلى مسائل، ويدرس كلَّ مسألة على حدة، وكذلك إذا ذكر الباب أو الكتاب فيجعله مسائل كقوله في كتاب الحيض: «المسألة الأولى: في تعريفه لغة وشرعا...المسألة الثانية: فيما جاء في ابتداء الحيض... المسألة الثالثة: في اختلاف أهل العلم في أقل الحيض...وهكذا»[41].

6- يذكر الفوائد عند توافق مناسباتها بقوله "فائدة" كقوله في كتاب الحيض: «فائدتان: الأولى: ذكر الجاحظ في "كتاب الحيوان" أن الذي يحيض من الحيوانات أربعة: الآدميات، والأرنب، والضبع، والخفاش، وزاد غيره أربعة أخرى...الثانية: قيل: للحيض عشرة أسماء: حيض، وطمث، وضحك، وإكبار...»[42].

7- اهتمامه الكبير والعريض بالمباحث اللُّغة العربية بأنواعها؛ فيحرر معاني الألفاظ ويضبطها خطًّا ورسما، ويبيِّن اشتقاقاتها، ويستدرك على بعض من صنَّف فيها، ويبيِّن القواعد ومآخذَها من الشَّواهد والدَّلائل[43].

8- الملكة النَّقدية التي تميَّز بها الشَّارح أضْفَت على الشَّرح ميزت التَّحقيق في المسائل والأقوال والاستدراك على المصنّفين والشُّراح، وأهم شيء دراسة الأحاديث وفق الدليل ولا يخفى ما فيه من إرواء للغليل وشفاء للعليل.

إذن هذا فيض من غيض، وجهد مقصِّر وإلّا بالجملة فالشّرح جامع ماتع، مَجْمَعٌ للطائف، ومَرتعٌ للفوائد النّفائس، وبحر رائق في الفنون والعلوم، وهو بالمقابل يُدلِّل الصِّعاب ويزيح عوائق التّعصُّب والتقليد المذموم، فهو بُغيةُ كلِّ طالب ناهم، وسلَّمٌ لكلِّ ذي لبٍّ فاهم، وهو في خمسة وأربعين مجلد، ولقد راقني فأنصح به إخواني.

خاتمة:

توفرت الشروح الحديثية المعاصرة على كثير من المميزات وملامح التجديد في الشرح الحديثي كما سبق بيانه، غير أنها لم تتفق كلها على تضمين هذه المميزات بل تفاوتت من شرح إلى شرح، واختلفت طرقهم في توظيفها، وينبغي التنبيه إلى أن بيان ما تميَّزت به الشروح المعاصرة لا مفهوم له؛ بحيث يقابله الطعن في كتب المتقدمين، بل تبقى شروح المتقدمين هي الأصل الأصيل، والمرجع في علوم الدين، وكل الشروح المعاصرة عالة على ما تقدم، وامتازت هي الأخرى بمميزات جمة، وأصحابُها بعُلُوِّ الهمة، وإنما جاء عنوان البحث لما رأيت عزوف طلبة العلم عن شروح المتأخرين فبَانَ القصدُ واتَّضح السبيل.

وختاما فإنّني أذكر بما هو الواجب علينا تُجاه حديث رسول الله ﷺ، والغرضِ الذي من أجله صنِّفت الشُّروح الحديثيّة؛ وهو العمل بسنَّة النبي مع الصِّدق في اتباعه قولا وعملا، والإخلاص لله عزَّ وجلَّ في ذلك. وأوصي الأساتذة خصوصا وطلبة العلم عموما أن يقرِّروا ضمن برامجهم في تعليمهم سواء في الجامعة أو المساجد أو حتَّى في البيت مع الأهل أجزاءً من كتب السُّنَّة، قراءةً للأحاديث وشرحا لها؛ فتحيا القلوب بالسُّنَّة ويزداد حبُّهم للسُّنة فضلا عن الاقتداء النبي والأجر الحاصل في كلّ ذلك عظيم جزيل والله يضاعف لم يشاء، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلَّا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن القيم الجوزيَّة (ت: 751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية ببيروت، دط، دت.
2. ابن ماجة القزويني (ت:273هـ)، سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.
3. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة ببيروت، دط، 1379هـ.
4. أحمد بن فارس (ت:395هـ)، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ/1979م.
5. جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1394هـ/1974م.

6. جمال بن محمد السيد، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/2004م.
7. حسن محمد عبه جي، الرفق في السنة النبوية، جامعة الملك سعود مركز بحوث كلية التربية بالمملكة العربية السعودية، دط، 1429هـ.
8. الرَّاغب الأصفهانى (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دارالقلم والدار الشامية بدمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
9. سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت:275هـ)، سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430ه/2009م.
10. عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية، ط1، 1403هـ/1983م.
11. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمان اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م.
12. عبد العزيز بن باز، الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري، بقلم: أبي محمد عبد الله بن مانع الروقي، دار التدمرية للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية، ط1، 1428هـ/2007م.
13. عبد الكريم الخضير، شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، دار الوطن للنشر، ط1، 2017م.
14. عبد الله البسام، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ت: محمد صبحي حلاق، مكتبة الصحابة بالإمارات، ومكتبة التابعين بالقاهرة، ط10، 1426هـ/2006م.
15. عبد الله العتيبي، شرح كتاب الصوم من صحيح البخاري، أعتنى به: بندر بن تركي البقمي، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1431هـ/2010م.
16. عبد الله الفوزان، الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط1، 1431هـ.
17. عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، مكتبة الدار بالمدينة، ط1، 1405هـ.
18. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، شرح حديث جبريل في تعليم الدين، مطبعة سفير الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ/2003م.
19. عبد المحسن بن حمد العباد البدر، عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة أسانيدها وشرح متونها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1409هـ.
20. عبد المحسن بن محمد المنيف، شرح حديث ابن عباس في الفرائض، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دط، 1424هـ/2004م.
21. عبيد الله بن محمد المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء -الجامعة السلفية- بنارس الهند، ط3، 1404هـ/1984م.
22. محمد الأمين بن عبد الله الأثيوبي، مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى، مراجعة لجنة من الأساتذة برئاسة: هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج بالمملكة العربية السعودية، ط1، 1439هـ/2018م.
23. محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، صحيح البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
24. محمد بن صالح العثيمين، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ت: صبحي بن محمد رمضان وآخرون، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م
25. محمد بن صالح بن العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر بالرياض، دط، 1426هـ.
26. محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط1، 1426هـ-1436هـ.
27. محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط1، 1424هـ.
28. محمد بن عيسى الترمذي (ت:279هـ)، الجامع الكبير، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ببيروت، دط، 1998هـ.
29. محمد خلف سلامة، لسان المحدثين، من كتب المستودع بالمكتبة الشاملة، الموصل في:2007/2/14م.

30. محمد صديق خان القِنَّوجي (المتوفى:1307هـ)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2002م.
31. مسلم بن الحجاج القشيري (ت:261هـ)، مقدمة صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، دط، دت.
32. موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق المصرية، ط1، 1423هـ/2002م.
33. موقع الشيخ عبد الكريم الخضير، الدروس العلمية، الحديث وعلومه، (يوم 2020/02/14في18:00)، 662533657hkhudheir.com/.
34. موقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن الشيخ علي بن آدم الإتيوبي، الترجمة، (يوم 2022/04/03 في 18:00)، https://aletioupi.com/.

الهوامش:

[1]- الرَّاغب الأصفهانى (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دارالقلم والدار الشامية بدمشق بيروت، ط1، 1412هـ، ج1، ص783. أحمد بن فارس (ت:395هـ)، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م، ج5، ص279.

[2]- محمد صديق خان القِنَّوجي (المتوفى:1307هـ)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ/2002م، ج1، ص423.

[3]- أشار إليها: جمال بن محمد السيد، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/2004م، ج2، ص45.

[4]- نبَّه على هذا الأمر: محمد خلف سلامة، لسان المحدثين، من كتب المستودع بالمكتبة الشاملة، الموصل في: 2007/2/14م، ج3، ص279، وعبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمان اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/2000م، ج1، ص29-30.

[5]- الرَّاغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، مصدر سابق، ج1، ص222.

[6]- أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري (ت:261هـ)، مقدمة صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، دط، دت، ج1، ص14.

[7]- جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1394هـ/1974م، ج4، ص243.

[8]- محمد بن صالح بن العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر بالرياض، دط، 1426هـ، ج6، ص567-572.

[9]- عبد المحسن بن حمد العباد البدر، عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة أسانيدها وشرح متونها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1409هـ.

[10]- موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق المصرية، ط1، 1423هـ/2002م.

[11]- موقع الشيخ عبد الكريم الخضير، الدروس العلمية، الحديث وعلومه، (يوم 2020/02/14 في 18:00)، shkhudheir.com/.662533657

[12]- يقول ابن القيم الجوزيَّة (ت: 751هـ): «ولا يوصفُ العالِمُ بكونه ربَّانيًّا حتَّى يكون عاملًا بعلمه معلِّمًا له»، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية ببيروت، دط، دت، ج1، ص356.

[13]- أخرجه: محمد بن عيسى الترمذي (ت:279هـ)، الجامع الكبير، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ببيروت، دط، 1998هـ، ج5، ص461 برقم 3578، وغيره.

[14]- عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الجزائرية، ط1، 1403هـ/1983م، ج1، ص51.

[15]- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، مرجع نفسه، ج1، ص50.

[16]- أخرجه: ابن ماجة القزويني (ت:273هـ)، سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م، ج3، ص252 برقم 2118، وغيره.

[17]- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، مرجع سابق، ج1، ص112.

[18]- أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، صحيح البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج1، ص6 برقم1، وكذا مسلم في «صحيحه»، مرجع سابق، ج3، ص1515 برقم 1907.

[19]- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، مرجع سابق، ج1، ص63-64.

[20]- أخرجه: سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت:275هـ)، سنن أبي داود، ت: شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م، ج6، ص35 برقم3887.

[21]- عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، مرجع سابق، ج1، ص159.

[22]- عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، مكتبة الدار بالمدينة، ط1، 1405هـ.

[23]- عبد الله العتيبي، شرح كتاب الصوم من صحيح البخاري، أعتنى به: بندر بن تركي البقمي، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1431هـ/2010م.

[24]- عبد الكريم الخضير، شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري، دار الوطن للنشر، ط1، 2017م.

[25]- حسن محمد عبه جي، الرفق في السنة النبوية، جامعة الملك سعود مركز بحوث كلية التربية بالمملكة العربية السعودية، دط، 1429هـ.

[26]- عبد الله الفوزان، الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط1، 1431هـ.

[27]- عبد المحسن بن حمد العباد البدر، شرح حديث جبريل في تعليم الدين، مطبعة سفير الرياض المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ/2003م.

[28]- عبد المحسن بن محمد المنيف، شرح حديث ابن عباس في الفرائض، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، دط، 1424هـ/2004م.

[29]- عبد الله البسام، تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، ت: محمد صبحي حلاق، مكتبة الصحابة بالإمارات، ومكتبة التابعين بالقاهرة، ط10، 1426هـ/2006م.

[30]- محمد بن صالح العثيمين، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ت: صبحي بن محمد رمضان وآخرون، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ/2006م.

[31]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة ببيروت، دط، 1379هـ، ج10، ص163.

[32]- عبد العزيز بن باز، الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري، بقلم: أبي محمد عبد الله بن مانع الروقي، دار التدمرية للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية، ط1، 1428هـ/2007م، ج3، ص370.

[33]- محمد الأمين بن عبد الله الأثيوبي، مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى، مراجعة لجنة من الأساتذة برئاسة: هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج بالمملكة العربية السعودية، ط1، 1439هـ/2018م، ج16، ص510.

[34]- عبيد الله بن محمد المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء -الجامعة السلفية- بنارس الهند، ط3، 1404هـ/1984م، ج8، ص345.

[35]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط1، 1424هـ.

[36]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي بالمملكة السعودية، ط1، 1426هـ-1436هـ.

[37]- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ محمد بن الشيخ علي بن آدم الإتيوبي، الترجمة، (يوم 2022/04/03 في 18:00)، https://aletioupi.com./

[38]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج، مرجع نفسه، هذه أرقامها على الترتيب: (219/1)، (227/10)، (362/13)، (483/15).

[39]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج، مرجع نفسه، هذه أرقامها على الترتيب: (285/2)، (189/4)، (532/7)، (44/3)، (323/6)، (577/4)، (16/12).

[40]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج، مرجع نفسه، (06/70)، (18/132).

[41]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج، مرجع نفسه، ج7، ص328.

[42]- محمد بن علي بن آدم الإتيوبي، البحر المحيط الثجاج، مرجع نفسه، ج7، ص336.

[43]- انظر كلامه على مادة كسف وخسف (18/5) ومادة جنز (18/131) ومادة نكح (25/5)، وفي كلمة اللعان (26/341)، وغيرها.